CinC

النزاع في المدن
والدول المتنازع عليها

إعادة النظر في البنية التحتية للنزاع

القدس

وثيقة توجيهية 2

إعادة النظر في البنية التحتية للنزاع:
كيف تعمل البيئة المبنية على استدامة الانقسام في المدن المتنازع عليها

أثبت بحث "النزاع في المدن" بأن الحواجز المادية، كالجدران والمناطق العازلة ونقاط التفتيش والجيوب الحضرية وحتى الطرق الكبرى وسكك الترام والطرق السريعة، تواصل لعب دور رئيسي في تقسيم المدن. ويمكن أن تكون هذه البنى التحتية للنزاع معقدة ومعبرة عن نفسها بوسائل مختلفة، وذلك في ظل وجود تأثيرات ضارة للربط أو التقسيم الاجتماعي - الاقتصادي. وغالباً ما تستغل القدرة على التنقل، أو قلة القدرة على التنقل، كأداة للنزاع. ويمكن أن تؤدي التدخلات في البيئة المادية إلى تعزيز مصالح فئات معينة بشكل واضح، يأتي ذلك في الوقت الذي يمكن أن تؤدي فيه التجاوزات حسنة النية والحميدة في ظاهرها إلى خلق أو استدامة عدم المساواة في أنماط يصعب تغييرها. وقد تتفاقم الانقسامات الاجتماعية والسياسية عندما يتم فصل السكان مادياً لفترات طويلة، بما يؤدي إلى رفض الاختلاف والإحجام عن الاختلاط. ومن ثم، يمكن للبنى التحتية للنزاعات أن تصبح أكثر من مجرد عوائق مادية أمام المصالحة.

البنى التحتية للنزاع

عادةً ما تصمد البنى التحتية للنزاعات في المدن المتنازع عليها بفضل حجمها ووتيرتها ووظيفتها في تقسيم السكان. وهي تقع في الأعم الأغلب ضمن مساحات كثيفة سكانياً، ويمكنها تغيير هيكل مدنها بصورة قطعية، وتدمير الاستمرارية المكانية الراسخة والوشائج الاجتماعية. ويمكن القول بأن الجدران ونقاط التفتيش غدت أكثر النماذج ملاحظة من بين نماذج البنية التحتية للنزاع في المدن المتنازع عليها. علماً بأن البنى التحتية للنزاع قد تعني أشياء مختلفة بالنسبة للشعوب المختلفة؛ ففي القدس، يمثل جدار الفصل مصدر أمان للكثير من الإسرائيليين، فيما ينظر إليه الفلسطينيون على أنه مصادرة جائرة لأراضيهم وتقسيم سافر للمجتمع. ولا ينبغي النظر إلى الجدران الفاصلة الحضرية بمعزل عما سواها؛ فهي غالباً ما تكون جزءاً من أنظمة أكبر من نقاط التفتيش وحظر السفر، إما بطريقة صارخة أو بتصميم أقل فضاحة، ولكنهما في التدمير والتخريب سواء. يمكننا التحدث عن "أنظمة التنقل"، التي تنطوي على التلاعب المقصود بالحركة لتحقيق أهداف انتقائية أخرى في النزاعات الحضرية. حيث يمكن للجدران أن تتخذ شكلاً رمزياً، وقد يتفاعل السكان المحليون مع بروز هذه الهياكل عبر تغطيتها بالرسومات وفنون الاحتجاج والإعلانات التجارية. وهنا يمكن القول بأن برلين والقدس كانتا، أو ما زالتا، أكثر المدن تميزاً بجدرانها.

ومع ذلك، فإن هذه المظاهر الواضحة ليست هي الشكل الوحيد من أشكال البنية التحتية للنزاع. إذ تحتوي المدن المقسّمة على العديد من الأشكال الأخرى، فعلى سبيل المثال، الطرق والحدائق والمجتمعات

الاستنتاجات الرئيسية للسياسة

- **تميل البنية التحتية المؤقتة للنزاعات التي تهدف إلى حل المشاكل على المدى القصير، كالجدران والمناطق العازلة على سبيل المثال، إلى أن تصبح دائمة. وقد يكون تغيير الآثار السلبية المكانية والاجتماعية والاقتصادية المترتبة على ذلك أمر صعباً للغاية، إن لم يكن مستحيلا.**
- **ينبغي أن يكون صانعو السياسة في حالة تأهب لتأثيرات الطرق في المدن المتنازع عليها؛ إذ يمكن استخدامها في الربط ومن ثم تفضيل فئة معينة دون سواها، أو تقسيمها لأغراض خبيثة.**
- **يمكن لتخطيط الحدائق والمساحات الخضراء، مهما كان حسن النية، أن يساهم في مزيد من التقسيم عبر قطع الروابط، وخلق مساحات حضرية "ميّتة" في معظم الأوقات. وفي حين يمكن تسويغ هذه الخطط بمبررات حميدة تتعلق بالمسؤولية نحو النظام البيني وأهمية الحفاظ عليه، فإنه ينبغي دراستها للوقوف على الأجندات الخفية التي تفضل وجهات نظر معينة.**

المسوّرة والمبوّبة والمناطق العازلة، يمكن أن تعكس أجندات سياسية متنوعة عن طريق قرارات التخطيط، كما يمكن أن تحمل عواقب متعددة وبعيدة المدى. ومن خلال تفتيت المجتمعات المحلية وتسييجها، والحد من التنقل وتوسيع الانقسامات، ومن ثم تعطيل الروابط المكانية الأساسية التي تسهم في الاقتصادات الاجتماعية والسياسية، تمتد آثارها لتؤثر في أهم سمات الحياة المدينة. وفي بعض الحالات، تساهم البنى التحتية للنزاع في تخريب التجربة الأساسية للحياة اليومية الحضرية.

وعلى قدر ما يُقصد بالبنية التحتية للنزاع أن تكون مؤقتة، فإنها تكون أكثر ميلاً لأن تغدو سمة دائمة للمدن. على سبيل المثال؛ لا يتم فهم أو بناء جميع الجدران بنفس الطريقة. ففي الوقت الذي تم فيه تخطيط وبناء الجدار الفاصل في القدس من قبل دولة إسرائيل، بُنيت خطوط السلام في بلفاست بصورة مخصصة نسبياً، حيث يعتبرها المجتمع في حد ذاته ضرورياً للتعاطي مع التراشق بالحجارة والقتال بين الفئات المتنافسة.

وتجدر الإشارة إلى أن المناطق العازلة غالباً ما تقطع وسط المدن المقسّمة، حيث الأماكن المهجورة غير المرغوبة. وظلت مدينة نيقوسيا لقرون عدة، محور التقاء الشعوب المختلفة، وكحل للنزاع العنيف، فقد فرضت منطقة عازلة تفصل القبارصة اليونانيين عن القبارصة الأتراك، مما خلق أرضاً عسكرية محرمة في وسط المدينة. وقد أثر هذا الإهمال داخل المنطقة العازلة في استغلال وتطوير المناطق المتاخمة، وتعليق المبادرات الحضرية باستمرار، بينما ظلت هذه الأجزاء من المدينة في حالة معلقة من حيث الاستخدام والتطوير. وفي فوكوفار، كرواتيا، الكثير من المباني في وسط المدينة كانت تنتمي إلى العرقية الألمانية أو الهنغارية ممن فروا من المدينة بعيد الحرب العالمية الثانية. وقد أدت الخلافات بشأن ملكية هذه المباني التي تم تأميمها في فترة ما بين الحربين ١٩٤٥-١٩٩١، إلى بقائها خاوية ومخرّبة. الأمر الذي جعل من مركز المدينة غاية في الخطورة من الناحية المادية والنفسية، ودفع العديد من السكان إلى تجنب المنطقة.

تدخلات "حميدة" بآثار ضارة

توجد استجابتان تخطيطيتان لمشكلة المناطق المهجورة، وهما إنشاء الطرق وبسط المساحات الخضراء. وبالرغم من أنهما تبدوان وسيلتا تطوير حميدتان وواقعيتان، ومختلفتان ظاهرياً إلى حدٍ بعيد، فإنهما تنطويان على إمكانية تحقيق الفصل والتمييز الدائمين. على سبيل المثال؛ لا يفصل الطريق 1 في القدس بين المناطق الإسرائيلية والفلسطينية فحسب، وإنما يُعتبر جزءاً أصيلاً من منظومة الالتفافية التي تمكن الإسرائيليين من السفر إلى المستوطنات عبر الطرق السريعة حديثة الإنشاء وغير الموصولة بالمناطق الفلسطينية. فيما يقتصر الفلسطينيون بشكل عام على شبكة قديمة من الطرق الأضيق والأقل سرعة، بما يحد من تنقلاتهم. وتجدر الإشارة إلى ندرة الطرق المباشرة والمريحة التي تربط المجتمعات الإسرائيلية والفلسطينية المتجاورة إلى حدٍ بعيد، مما يقوض إمكانية الاتصال بين الطرفين. فالحدود وإمكانية التنقل هما غير مخططتين أو منتشرتين بالطريقة ذاتها لدى كلا

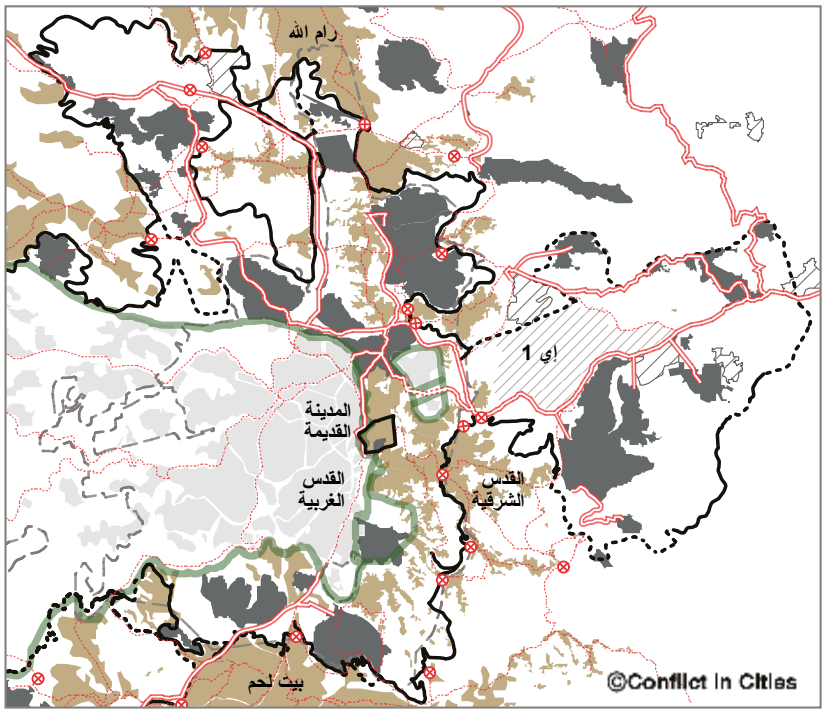

القدس الكبرى

البنية التحتية للنزاع في القدس: الجدار الفاصل هو جزء من نظام أكبر للإغلاق والتحكم في التنقل، بما في ذلك نقاط التفتيش والطرق الالتفافية.

N
٠ ١ كم ٥ كم

- المناطق العمرانية الفلسطينية
- المستوطنات الإسرائيلية
- إي 1 - مستوطنة إسرائيلية مقترحة
- قواعد جيش إسرائيلية
- القدس الإسرائيلية المحتلة داخل الخط الأخضر
- الطرق الالتفافية الإسرائيلية
- الطرق الرئيسية
- الخط الأخضر، 1948-67
- الحدود البلدية الإسرائيلية
- الجدار الفاصل (مبني / تحت الإنشاء)
- الجدار الفاصل (مخطط)
- نقاط التفتيش

"قد يُعلنون بأنها منطقة خضراء مثلما فعلوا مع هار حوما، حيث أعادوا تقسيمها إلى مناطق للبناء، وقطعوا نحو 60 مليون شجرة صنوبر ... إنهم لا يسيطرون على هذه الأرض للحفاظ عليها، ومن ثم فمنطقة الحديقة هي فخ"

- ممثل منظمة فلسطينية غير حكومية

الطرفين. وفي حين يبدو بأن الإسرائيليين يتمتعون بحرية الحركة، تبدو حياة الفلسطينيين محكومة ومقطعة الأوصال بسبب البنى التحتية للنزاع.

في بلفاست، أصبحت الطرق تلعب دوراً محورياً أيضاً في كيفية تنظيم المدينة اجتماعياً، حيث تركز على حياة الشارع المجتمعية من جهة أو تشكل حواجز متينة بين المناطق من جهة أخرى. وفي الوقت نفسه، في بيروت، تتصادم الأحياء السنية والشيعية بصورة دورية فيما بينها على طول "الخطوط الخضراء الجديدة"، والتي تقع في بعض الأحيان على طول الطرق الرئيسية. في موستار خلال الحرب الأهلية، أصبح البوليفار، وما زال بعد 20 عاماً، الخط الفاصل للمدينة، والذي لا يزال يتميز بالعديد من المباني المليئة بثقوب الرصاص ودمار القنابل.

في المدن المتنازع عليها، يمكن تسويغ القرارات المتعلقة بموقع الحدائق والمساحات الخضراء الأخرى، لاسيّما حيث تلتقي الفئات المختلفة من السكان في المدينة، بمبررات حميدة تتعلق بالمسؤولية نحو النظام البيئي وأهمية الحفاظ عليه. ومع ذلك، يتعين دراستها عن كثب للوقوف على الأجندات الخفية التي تفضل وجهات نظر معينة، حيث يمكن استغلال التخطيط في طرد الأشخاص ومحو التواريخ من تلك المواقع. وتجدر الإشارة إلى أن التخطيط الإسرائيلي الحالي موجه نحو ترسيم الحدود المستقبلية للقدس، في كثير من الأحيان من خلال تقويض النمو العمراني الفلسطيني، ومرة أخرى، سوف يترتب على هذا الأمر قطع أواصر العلاقات الحضرية الحالية. حيث لا تساعد الحديقة، بموقعها في المنتصف حول المدينة القديمة في المنطقة المحرمة سابقاً، في ربط الأجزاء المختلفة من المدينة، والتي تظل في الغالب قاحلة وغير مستخدمة.

علماً بأنه يمكن لعوامل مثل فرض تشريعات تخطيطية بشأن مناطق خضراء محددة، أو فرض قيود على ارتفاعات المباني وإصدار تصاريح البناء، أن تساهم في انعدام المساواة بشكل دائم في التخطيط الحضري وتقديم الخدمات. على سبيل المثال؛ تقع مناطق حي سلوان الفلسطيني الأقرب داخل حديقة أورشليم وولز الوطنية، وتستفيد سلطات التخطيط الإسرائيلية من تشريعات وثيقة الصلة لمصادرة أي شيء غير قانوني تم بناؤه في هذه المنطقة بعد عام ١٩٧٤. إذ يمكنها هذا التشريع من استصدار أوامر بهدم المنازل في تلك المنطقة، كما يخوّلها الاستفادة من المبادرات مثل خطط الحفريات الأثرية الإسرائيلية.

التمدين الحدودي

توصل بحثنا إلى أن البنى التحتية للنزاع تسهم في طوبوغرافيات أوسع للنزاعات التي تؤثر على أجزاء كبيرة من المدينة، إن لم تكن بأكملها. وقد يؤدي ذلك إلى "التمدين الحدودي"، الذي يظهر عندما تقرر فئات مدنية مواجهة بعضها البعض، وتعمد استغلال البيئات والهياكل الحضرية والعمرانية. وتجدر الإشارة إلى أرجحية انتقال التطرف والظروف القاسية المرتبطة عادةً بالمناطق الحدودية إلى قلب المدن المتنازع عليها.

تُعتبر المستوطنات الإسرائيلية في القدس من أفضل الأمثلة المعروفة. حيث تكون هذه المستوطنات معزولة دائماً عن القرى الفلسطينية المتاخمة، مع إمكانية ضعيفة، إن وجدت، للوصول المادي المباشر بين الطرفين. ويمنحنا مشهد الأبنية الشبيهة بالحصن إلى جانب مواقعها على قمم التلال المطلة على الأحياء الفلسطينية، صورة مرئية عن العلاقات الهرمية الاجتماعية والاقتصادية ولاسيّما السياسية. يذكر أنه منذ عام ١٩٦٧، وانطلاقاً من مخطط تقوده الدولة، ساهم التمدين الحدودي في ترسيم حدود القدس، ومنذ ثمانينيات القرن الماضي، نشطت جماعات المستوطنين اليهود في المدينة القديمة للاستحواذ بشكل استفزازي على الممتلكات الفلسطينية، خاصة في الحي الإسلامي.

وتجدر الإشارة إلى إمكانية تغير طبيعة الحدود بشكل كبير خلال النزاع. فعلى سبيل المثال؛ وبالتحديد في بيروت، أصبح الخط الأخضر السابق العابر للمدينة والذي كان يقسمها في الماضي إلى فئات طائفية، موطناً لسكان المدينة الأكثر فقراً، مع امتلاء شوارعه ومبانيه ذاتها بنفس الفئات الدينية المختلفة من السكان. وعند هذه النقطة بالذات تحدث التوترات والصدامات في وقتنا الحالي، وليس في وسط المدينة حديث التجديد.

وكما هو حال جميع أشكال البنى التحتية الأخرى للنزاع، فإنه بمجرد إنشاء خط حدودي، يكون تفكيكه صعباً للغاية، مما يجعل العلاقات الحضرية الوظيفية السابقة، أو حتى الجديدة، غير مستقرة

أو غير موجودة. وحتى في برلين، التي نفذت حتى يومنا هذا أنجح محاولة لإزالة الآثار المادية للانقسام، فإن استمرارية العلاقات الحضرية الوظيفية لم تكن ممكنة تماماً؛ حيث ظلت المناطق الحدودية الكبيرة السابقة غير مأهولة وتثير إشكاليات في أجزاء من المدينة. ويمكن القول بأن التمدين الحدودي هو حالة حضرية جديدة يتعذر الرجوع فيها إلى حدٍ بعيد.

حدود "المنطقة المهجورة" في نيقوسيا.

قراءات أخرى

Dumper, M. (2008) The Multiple Borders of Jerusalem: Policy implications for the future of the city. *Conflict in Cities Working Papers Series*, 4. www.conflictincities.org/ workingpapers

Komarova, M. (2018) 'You Have No Legitimate Reason to Access'. Visibility and Movement in Contested Urban Space, in M. Komarova, and M. Svašek, (eds.) *Ethnographies of Movement, Sociality and Space. Place-making in the New Northern Ireland*. Oxford: Berghahn.

Pullan, W. (2007) Contested Mobilities and the Spatial Topography of Jerusalem. In L. Purbrick, J. Aulich and G. Dawson (eds) *Contested Spaces: Cultural Representations and Histories of Conflict*. London: Palgrave Macmillan, pp.49-73.

Pullan, W. (2011) Frontier urbanism: The periphery at the centre of contested cities. *The Journal of Architecture*, 16(1), pp.15-35.

Pullan, W. (2013) Conflict's Tools. Borders, boundaries and mobility in Jerusalem's spatial structures. *Mobilities*, 8(1), pp.125-147.

Pullan, W. (2013) Spatial Discontinuities: Conflict infrastructures in contested cities. In W. Pullan and B. Baillie (eds) *Locating Urban Conflicts: Ethnicity, Nationalism, and the Everyday*. London: Palgrave MacMillan.

Pullan, W. and Gwiazda, M. (2012) The Making of Jerusalem's Holy Basin. *Planning Perspectives: An International Journal of History, Planning and the Environment*, 27(2), pp.219-42.

Pullan, W., Misselwitz, P., Nasrallah, R. and Yacobi, H. (2007) Jerusalem's Road 1: An Inner City Frontier? *City*, 11(2), pp.175-97.

Pullan, W. (2015). 'The migration of frontiers. Ethno-national conflicts and contested cities', in *Nationalism, Ethnicity and Boundaries: Conceptualising and Understanding National and Ethnic Identity Through Boundary Approaches*, eds., Jackson, J. and Molokotos-Liederman, L., New York and London: Routledge, pp.220-44.

Pullan, W. (2018) Violent infrastructures, places of conflict: Urban order in divided cities. in R Burdett and S Hall (eds) *The Sage Handbook of Urban Sociology: New approaches to the twenty-first century city*. London: Sage, pp.376-96.

يستعرض بحث "النزاع في المدن والدول المتنازع عليها" الكيفية التي تشكلت بها المدن في أوروبا والشرق الأوسط نتيجة للنزاعات العرقية والدينية والقومية، مع الإشارة بشكل خاص إلى العمارة والمناطق الحضرية كإطار للأنشطة والأحداث اليومية. ويُعنى البحث بقدرة المدن على امتصاص النزاع ومقاومته وربما لعب دور فعال في إحداث تحول جذري به. علماً بأن أماكن البحث الرئيسية هي مدينتا بلفاست والقدس، بالإضافة إلى استبيان تكميلي للمدن الأخرى المقسّمة مثل برلين وبيروت وبروكسل وكركوك وموستار ونيقوسيا وطرابلس (لبنان) وفوكوفار. وتتولى إدارة هذا المشروع متعدد التخصصات ثلاث جامعات بريطانية هي جامعة كامبريدج وإكستر وكوينز بلفاست، بالتعاون مع شبكة دولية من الشركاء. كما يتم تمويل البحث عن طريق برنامج المنح الكبرى الصادر عن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية للمملكة المتحدة

(RES-060-25-0015)

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لصالح النزاع في المدن، نوفمبر 2012، تم تحديثها من قبل مركز بحوث النزاعات الحضرية، 2019. مع جزيل الشكر لشركة اوف اروب اند بارتنرز انترناشيونال لتد لندن لما قدمته من دعم قامت بأعمال الترجمة شركة لانجسبير.

www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk

تُقدم هذه المادة مجاناً للاستخدام الشخصي وغير التجاري، شريطة الإشارة إلى المصدر. كما يتعيّن الحصول على تصريح كتابي مسبق من مسؤولي "النزاع في المدن"، بشأن الاستخدامات التجارية أو أي استخدام آخر. ولا يجوز بأي حال من الأحوال تعديل هذه المادة العلمية أو بيعها أو تأجيرها.

المحققون
دكتورة ويندي بولان، كامبريدج
بروفسور جيمس أندرسون، كوينز بلفاست
بروفسور ميك دمبر، إكستر
بروفسور ليام أودود، كوينز بلفاست

الشركاء
دكتورة كاتي هايورد، كوينز بلفاست
دكتور كريج لاركن، كلية كينجز لندن
بروفسورة ماديلين ليونارد، كوينز بلفاست
دكتور رامي نصر الله، مركز التعاون والسلام الدولي، القدس
دكتور كارل أوكونور، ليمريك
دكتورة ليزا سميث، كوينز بلفاست
دكتور ماكسميلان شتيرنبيرج، كامبريدج
دكتور بير والاش، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية
دكتور حايم ياكوبي، جامعة بن جوريون

الباحثون
دكتورة بريت بايلي، كامبريدج
دكتورة أنيتا باكشي، كامبريدج
ناديرا كاركابي - باتل، كامبريدج
ليفكوس كرياكو، كامبريدج
دكتورة ميلينا كومارافا، كوينز بلفاست
رزان مخلوف، إكستر
دكتورة مارتينا ماكنايت، كوينز بلفاست

طلاب الدكتوراه
جوليا كارابيلي، كوينز بلفاست
مونيكا هالكورت، كوينز بلفاست
كونستانتن كاستريسيانكيس، كامبريدج
ليندا روتام، كوينز بلفاست
كيلسي شانكس، إكستر